

Strategy
W A T C H



المركز
الإستراتيجي

سوريا: مشهد جديد يرتسم على أنقاض الزلزال



البحوث والدراسات

20 فبراير 2023

سوريا: مشهد جديد يرتسم على أنقاض الزلزال



أنقرة: تراجع ملف التطبيع

أشار تقرير أمني غربي (14 فبراير 2023) إلى وجود تحولات في المشهد الأمني والعسكري في سوريا عقب الزلزال (6 فبراير) الذي تسبب بدمار واسع في الأرواح والممتلكات، مؤكداً أن القوات التركية أوقفت عملية انسحاب كانت تزمع تنفيذها في مواقع إستراتيجية على طريق (4M)، بالتزامن مع وقف مباحثات التطبيع مع دمشق حتى إشعار آخر.

ورأى تقرير نشره مركز "كارنيغي" (17 فبراير) أن مرحلة ما بعد الزلزال لن تكون كما قبلها، حيث يبدو موقف الرئيس التركي رجب طيب أردوغان على المحك، نتيجة الحجم الهائل للكارثة والاستجابة البطيئة للسلطات التركية في بعض المناطق المتضررة، ما يهدد بفقدان أردوغان فرصة إعادة انتخابه رئيساً للجمهورية.

وتوقع التقرير أن تكون هنالك تداعيات أكبر على العلاقات التركية السورية، بما في ذلك: تعثر مسار التطبيع مقابل التقارب العربي المتسارع مع بشار الأسد، واضطرار أنقرة لوقف تصعيدها ضد الجماعات الإرهابية الكردية، والتركيز على معالجة تبعات الكارثة بدلاً من تصعيد الخطاب المناهض لهم، ناهيك عن صعوبة إقناع الناخب التركي أن مكافحة الإرهاب وضبط الحدود سيكونان أولوية للجيش التركي المرابط في شمال سوريا.

يضاف إلى ذلك صعوبة وفاء أنقرة -في الظروف الحالية- بالشروط المسبقة التي وضعها نظام الأسد للحوار، والمتمثلة في سحب الجيش التركي من شمال سورية ووقف دعم المعارضة، خاصة وأن تركيا قد أصبحت بحاجة، أكثر من أي وقت مضى، لاستمرار وجودها العسكري في كضمانة لمنع تدفق اللاجئين السوريين.

وعلى الرغم من أن عمليات الإغاثة كانت الشغل الشاغل للحكومة التركية في الأيام الماضية؛ إلا أن الخطاب المعادي للسوريين تصاعد في المناطق التركية الأكثر تضرراً، حيث اتهم السوريون بالسرقة، ونشر يمينيون متطرفون مناهضون للاجئين، على غرار أوميت أوزداغ، مقاطع فيديو تعزز خطاب الكراهية، ومن المستبعد أن تنتهي هذه الظاهرة في وقت قريب.

ولدى السماح للسوريين المقيمين في تركيا بعبور الحدود للاطمئنان على ذويهم؛ أشارت مصادر محلية أن الكثير منهم لن يعودوا إلى تركيا مجدداً، خاصة بعد أن تحول ملف السوريين في تركيا إلى ملف للمساومة بين الأحزاب التركية، فيما يواجه السوريون اتهامات بالقيام بأعمال السلب والنهب في المناطق المنكوبة، ويتعرض بعضهم لاعتداءات ممن تأثروا بالشائعات المخترقة.

دمشق: تصعيد على وقع الكارثة

قام وزير دفاع النظام، العماد علي محمود عباس، بزيارة لمدينة حلب (7 فبراير)، وذلك عقب أيام من زيارة سابقة لطهران (25 يناير)، التقى فيها الرئيس الإيراني إبراهيم رئيسي، وقائد الحرس الثوري حسين سلامي.

وبينما أعلنت وسائل إعلام النظام عن تكليف بشار الأسد وزير دفاعه بالوقوف على الأضرار التي خلفها الزلزال، إلا أن زياته كانت ذات طابع عسكري، حيث كان يضع اللمسات الأخيرة على خطة تصعيد دشنتها الميلشيات التابعة له بقصف مدينتي "الأتاب" و"سراقب" (16 فبراير)، بالإضافة إلى استهداف بلدة "معارة النعسان" بريف إدلب الشمالي، وقريتي بريف حلب الغربي "كفر تعال" و"كفر نوران" بالقصف المدفعي والصاروخي، واشتباكها بالأسلحة الآلية الثقيلة مع فصائل "الفتح المبين"، غير عابئة بالكارثة التي حلت بالسوريين.

وتحدثت مصادر ميدانية عن قيام النظام بشن عمليات واسعة النطاق، شملت نحو عشر قرى وبلدات ضمن منطقة "خض التصعيد الرابعة"، وهي: "السرمانية"، و"دوير الأكراد" في منطقة سهل الغاب بريف حماة الشمالي الغربي، و"عين عيسى" في جبل التركمان، و"تلال الكبانة" في جبل الأكراد بريف اللاذقية الشمالي الشرقي، و"بينين" و"سفوهن" و"البارة" و"فليفل" في منطقة جبل الزاوية بريف إدلب الجنوبي، وبلدات "تديل"، و"الهباطة"، و"كفر نورا"، و"كفر تعال" بريف حلب الغربي، ما أدى إلى وقوع أضرار بالغة في مساكن المدنيين المنكوبين.

وبالإضافة إلى التصعيد العسكري؛ رأت صحيفة "إيكونوميست" البريطانية (17 فبراير) أن بشار الأسد كان يقود عملية تصعيد ديبلوماسية رديفة منذ اللحظات الأولى للزلزال، حيث عمد إلى منع دخول المساعدات مدة أسبوع كامل لمعظم المناطق المتضررة، وجند طاقمه لمهاجمة الدول الغربية التي فرضت عليه العقوبات، وعلى رأسهم، بئينة شعبان، التي قالت: "كل ما نريده من أوروبا والولايات المتحدة الآن هو رفع العقوبات... إذا رفعوا العقوبات، فسيكون المغتربون السوريون والشعب السوري قادرين على الاعتناء ببلدهم".

والواقع أن دمشق لم تكن بحاجة لرفع العقوبات، حيث حطت في مطارها الدولي عشرات الطائرات التي حملت مساعدات من 25 دولة، فيما تلقى بشار الأسد زيارات ومكالمات من معظم الدول العربية، لكنه قرر الدفع بفريقه لاستغلال الكارثة والمطالبة برفع العقوبات بحجة أنها تمنع وصول المساعدات الإنسانية للمتضررين.

وبادر عدد من المسؤولين الرسميين ومندوبي "الهلال الأحمر السوري"، وناشطين ومؤثرين عبر وسائل التواصل الاجتماعي إلى الترويج لتلك الادعاءات حيث تم ربط العقوبات بمسألة الاستجابة الإنسانية الطارئة، فيما لعب المنسق المقيم للأمم المتحدة ومنسق الشؤون الإنسانية في سوريا (UNDAC)، المصطفى بن المليح، الدور الأبرز في مهمة تعويم بشار الأسد خلال فترة ما بعد الزلزال، حيث أكد أن العقوبات المفروضة على النظام: "تضر بالعمل الإنساني في سوريا"، وامتنع عن تقديم طلب لنشر فرق الأمم المتحدة للكوارث والتنسيق، حتى اليوم الخامس من الزلزال، وذلك في محاولة منه لمواكبة رغبة النظام في تأخير إعلان المحافظات الخارجة عن سيطرته مناطق منكوبة لضمان وصول المساعدات الدولية إلى دمشق، وكسر عزلتها الدولية، وتساعل الكثيرون عن سبب امتناع المسؤول الأممي عن زيارة مناطق شمال غربي سوريا لتقييم الأضرار، وإدلائه بتصريحات تجاهلت مناطق المعارضة التي يبلغ عدد سكانها نحو خمسة ملايين نسمة.

وبالإضافة إلى حصر حديثه (7 فبراير) عن المدن والبلدات المتضررة في مناطق النظام (حلب وحمص وحماة واللاذقية وطرطوس)؛ أكد بن المليح أن الوصول إلى المتضررين والمستفيدين والمحتاجين يجب أن يتم عبر "الحكومة السورية"، والتنسيق معها، والعمل على إعادة إصلاح ما تضرر من خلال عملية الإنعاش المبكر التي تطالب بها دمشق.

المجتمع الدولي: إخفاق إنساني... وإنجازات عسكرية

اعترفت الأمم المتحدة بفشلها وتأخرها في عمليات الإنقاذ والمساعدة شمال غرب سوريا، وأكدت على ضرورة تصحيح تلك الإخفاقات بأسرع ما يمكن، مؤكدة (12 فبراير) أن: "سكان شمال غرب سوريا يشعرون بالتخلي عنهم ويتطلعون للمساعدات الدولية بصورة أكبر بكثير".

وعلى الرغم من ذلك الاعتراف، إلا أن "فريق منسقي استجابة سوريا" (17 فبراير) أكد استمرار تلك الأمم المتحدة في إيصال المساعدات، وأن المساعدات الإنسانية لا زالت ضمن الحدود الدنيا، حيث بلغ عددها 114 شاحنة فقط دخلت جميعها عبر "باب الهوى"، على الرغم من افتتاح معبرين إضافيين.

وشدد الفريق على وجود "تسييس" كبير للمساعدات الإنسانية الواردة وخاصةً الأممية، بما في ذلك توجيه كميات هائلة من المساعدات الإنسانية إلى مناطق النظام، علماً أن نسبة الأضرار بلغت 88% في مناطق شمال غرب سوريا واقتصرت على 12% من مناطق النظام، لكن دمشق حصلت على 90% من المساعدات.

ولفت الفريق إلى وجود استياء شعبي كبير من تأخر وصول المساعدات الإنسانية من الأمم المتحدة وقلتها، حيث بلغت كمية المساعدات المقدمة من المنظمات المحلية والتركيبية نسبة 75%، مقابل 25% من المساعدات أممية، وقال في بيان له: "حتى الآن لم تتحمل الأمم المتحدة مسؤوليتها الإنسانية والأخلاقية بشكل جدي اتجاه المنكوبين جراء الزلزال في المنطقة، وتتحمل المسؤولية الكاملة عن التقصير في عمليات الاستجابة الإنسانية اتجاه المتضررين في الشمال السوري".

في هذه الأثناء؛ كان التحالف الدولي يقوم بدوره العسكري دون الالتفات إلى ضرورة مساعدة المنكوبين، حيث أعلنت وزارة الدفاع الأمريكية (17 فبراير) قتل قيادي في تنظيم "داعش" بغارة أمريكية نفذت بالتعاون مع "قوات سوريا الديمقراطية"، عبر طائرة مروحية شمال شرقي سوريا.

وكان التنظيم المتطرف قد قتل أكثر من 60 سورياً في هجوم شنه على سوريين كانوا يجمعون الكمأة في ريف حمص الشرقي، وذلك في أعقاب هجوم سابق، في المنطقة نفسها، خلف 16 قتيلًا، وخطف نحو ستين مدني، فيما يستمر التنظيم وخصومه في تنفيذ عملياتهم "الاعتيادية"، غير عابئين بحجم الكارثة التي حلت بالبلاد.

الموقف العربي: نكبة السوريين فرصة للتطبيع

لم يكن توقيت نائب رئيس الوزراء وزير الخارجية وشؤون المغتربين الأردني، أيمن الصفدي، (15 فبراير) موقفاً عندما أكد أن زيارته إلى دمشق: "كانت محطة للبحث في العلاقات الثنائية بين الأردن وسوريا والجهود المبذولة للتوصل لحل سياسي"، وأنه تباحث مع نظيره بدمشق، فيصل المقداد، حول: "تهيئة الظروف التي تسمح بالعودة الطوعية للاجئين، ويخلص سوريا من الإرهاب الذي يشكل خطراً علينا جميعاً"، بل كانت تصريحاته مثاراً للسخرية في عمان، خاصة وأن أنين الضحايا كان لا يزال يُسمع تحت الأنقاض، فيما كانت القوات المسلحة الأردنية منهكة في معاركها المفتوحة ضد مهربي الحدود التابعين للفرقة الرابعة... بقيادة ماهر الأسد.

وبالإضافة إلى حصوله على تعهد من تونس بتعزيز العلاقات مع نظامه؛ تلقى بشار الأسد اتصالاً هاتفياً من الرئيس المصري عبدالفتاح السيسي، هو الأول بين الزعيمين، وأعلن صندوق "تحيا مصر" التابع للرئاسة المصرية عن تخصيص حساب لإغاثة سوريا في كل البنوك المصرية، فيما أعلنت الإمارات العربية المتحدة عن إرسال مساعدات بقيمة 100 مليون دولار، في حملة ساهم فيها علي بن رامي مخلوف، وتسيير 38 رحلة تابعة لطيران الإمارات حاملة 1243 طناً من المساعدات.

واعتبر تقرير نشره موقع "المونيتور" (17 فبراير) أن قيام عدد من القنوات الفضائية العربية بنقل خطاب بشار الأسد، لأول مرة، هو أمر نادر الحدوث ويمكن أن يكون مؤشراً على التقارب بين سوريا ودول الخليج، خاصة وأن بشار قدم الشكر للدول "الشقيقة والصديقة" على ما قدمته من مساعدات.

ولاحظ موقع "ميدل إيست آي" قيام بعض الدول العربية بتسريع: "الجهود لإعادة العلاقات مع الرئيس السوري بشار الأسد في أعقاب زلزالين مميتين، ما قد يعمق الهوة بين عواصم المنطقة التي تريد إخراج دمشق من حذر القوى الغربية المعارضة للتطبيع"، ونقل عن الزميلة البارزة في "مركز الدراسات الاستراتيجية والدولية" بواشنطن قولها: "هذه نقطة انعطاف... نحن نشهد لقاء دبلوماسيين رفيعي المستوى بالأسد وعملاً مادياً حقيقياً للنظام".

إلا أن إجراءات التطبيع تلك لا تخرج عن المحاولات الفاشلة التي بذلتها الدول ذاتها لإعادة بشار الأسد إلى جامعة الدول العربية، حيث رأت كبرى المحللين السوريين في مجموعة الأزمات الدولية، دارين خليفة، أن: "الدول التي كانت تميل إلى دعم الأسد قفزت إلى فرصة حدوث الزلازل"، لكنها حذرت من أن ذلك لا يضع دمشق بالضرورة على مسار سريع للتطبيع.

وأيدها في ذلك الأكاديمي بجامعة ليون الفرنسية، فابريس بالانش، قائلاً: "الأسد يرغب في استخدام الزلازل لرفع هذه العقوبات، لكنني لا أعتقد أنه سينجح"، مضيفاً: "لن ترفع أوروبا والولايات المتحدة العقوبات، خاصة الآن، حيث تدعم سوريا روسيا، وتستعر الحرب في أوكرانيا".

ورأى الزميل في معهد واشنطن، أندرو تابلر، أن المبادرة السعودية الأخيرة جاءت ضمن نطاق "المساعدات الصغيرة" ذات الطابع الرمزي، واعتبر أن محاولات التطبيع الأخيرة محكومة بالفشل، خاصة وأن مباحثات دول الجوار تشترط تعاون الأسد في ملف إعادة اللاجئين، وهو أمر غير ممكن بالنسبة للأسد في الظروف الحالية.

وتأتي معظم المساعدات مقرونة بمطالب التخلي عن إيران، وهو أمر متعذر بالنسبة للأسد الذي ربط مصيره بها، وبالنظر إلى ارتهان بشار الأسد لنفوذ إيران و"حزب الله" فإنه من غير المتوقع أن يتخلى عنهما تحت أي ظرف، وأضاف تابلر: "أية تنازلات يقدمها الأسد ستكون تكتيكية وسيكون من الصعب قياسها على أرض الواقع".

طهران: قآني في حلب لتبديد الأوهام

وعلى الرغم من الهرولة لإعادة بشار الأسد إلى الحظيرة العربية؛ إلا أن قائد ميلشيا "فيلق القدس" لا يزال صاحب الكلمة الفصل في المشهد السوري، حيث كان أول القادمين إلى مدينة حلب المنكوبة، وذلك في زيارة رمزية تهدف إلى تعزيز رضوخ سوريا لدائرة النفوذ الإيراني.

وفي مقابل حديث الإعلام الإيراني عن قيام قآني بمهمة: "الإشراف على عمل كوادر الإغاثة الإيرانيين المتواجدين في موقع إزالة الأنقاض"، كان زعيم ميلشيا "فيلق القدس" ينفذ مهمة مختلفة بالتعاون مع القنصل العام لإيران في حلب، سلمان نواب نوري، وعدد من قياديي "الحشد الشعبي"، أبرزهم؛ عبدالعزيز المحمداوي الملقب "أبو فدك"، الذي شوهد وهو يتحدث ببداءة تتناسب مع الدور التخريبي الذي تقوم به ميلشياته الطائفية منذ سنوات.

ويبدو أن الدور الرئيس لتلك الميلشيات قد تمثّل في التمهيد لزيارة بشار الأسد (باعتبار حلب منطقة نفوذ إيراني)، والذي بدا مبتهجا وهو يتلقط الصور مع عناصر الحشد الشعبي، ويقدم الشكر للمدعو "أبو فدك" متحدثا معه عن الأوضاع في "الجهة الشرقية" (!) وغير عابئ بأنين الضحايا الذين كان البعض منهم لا يزال يستغيث من تحت الأنقاض.

وتبعت تلك الترتيبات زيارة رئيس "الحشد الشعبي"، فالح الفياض (16 فبراير)، الذي نقل لبشار الأسد رسالة من رئيس الوزراء العراقي محمد شياع السوداني، تعهد فيها بتقديم الدعم الذي لم يظهر أثره لدى انقطاع التيار الكهربائي في معظم المدن السورية المنكوبة، فيما تصاعدت وتيرة انتهاكات الميلشيات بحق المصابين والمتضررين.

وكان على رأس تلك الميلشيات عناصر "مؤسسة العرين" التي تُدار من قبل مكتب أسماء الأسد، تحت غطاء خيرى، حيث سادت حالة استياء في المناطق المنكوبة نتيجة منع عناصر المتطوعين من تقديم المساعدة للأطفال المصابين، وتجميعهم بصورة مهينة في مشفى "تشرين الجامعي"، ومنع ذويهم من التواصل معهم، ونشر الحرس في مراكز الإيواء وفي المستشفيات لمنع وصول الأهالي تمهيدا لزيارة بشار الأسد وزوجته في اليوم السادس من الزلزال، تحت ذريعة "تفقد المصابين".

كما دار الحديث عن توجيه عناصر "مؤسسة العرين" الإهانات للأطباء والكوادر الطبية، وتقديم المساعدات بصورة غير لائقة، وتورطهم بسرقة المساعدات الخارجية، وإلزام متبرعين محليين وجمعيات خيرية بتقديم المساعدات والوجبات.

وانتشرت عشرات المقاطع المصورة التي تتحدث عن عمليات سرقة للمساعدات والمعونات المخصصة لمتضرري الزلزال في مناطق سيطرة النظام، ومنع المتطوعين من تقديم المساعدات الأهلية إلا بموجب "تصريح أمني".

ودفعت تلك الحوادث مجلة "فورين بوليسي" (16 فبراير) للتحذير من تقديم المساعدات الإنسانية عن طريق حكومة الأسد التي طالما تلاعبت بإيصال تلك المساعدات، مؤكدة أن هذا التحايل هو سمة مميزة للصراع السوري طويل الأمد.

وأضافت أنّ حكومة أسد لم تكن أبداً -وليست الآن- مصدراً موثوقاً لإيصال المساعدات إلى مناطق سيطرة المعارضة، والتي لا يوجد بها سوى القليل من المنظمات الإنسانية، فيما يتفاقم التأثير المميت للزلزال بسبب جهود حكومة أسد وروسيا للحد من مساعدة الأمم المتحدة عبر الحدود.

واستذكرت المجلة تقريراً مطولاً نشرته قبل نحو أسبوع، أكدت فيه أن حكومة الأسد تنهب المساعدات، وأنها طالما عرقلت وصولها للمناطق الثائرة بهدف معاقبتها وحصارها، فيما رأت صحيفة "فايننشال تايمز" البريطانية أن بشار الأسد: "ديكتاتور من نوع خاص يستخدم زلزالاً مميتاً لإعادة تأهيل نفسه في المجتمع الدولي أثناء التقاط الصور في منطقة منكوبة مع زوجته".



Strategy
W A T C H



المرصد
الإستراتيجي

البحوث والدراسات

أبحاث ودراسات متخصصة تستند إلى الرصد العلمي
والميداني لأهم التطورات السياسية والاقتصادية
والاجتماعية وتحديات الهوية وإدارة العلاقات البينية في
المنطقة العربية.

20 فبراير 2023

المرصد الإستراتيجي

بيت خبرة رائد في تقديم الخدمات المتخصصة للعاملين في المجالات
السياسية والأمنية بالمنطقة العربية.

يعمل على تعزيز المفاهيم الاحترافية لدى الجيل الجديد من العاملين في
الشؤون السياسية والأمنية في العالم العربي، ورفد صناع القرار بمعلومات
نوعية بجودة عالية ومهنية تستند إلى الموضوعية والحياد والاستقلالية،
بعيداً عن مؤثرات الإيديولوجيا الطارئة ومعارك الاستقطاب الإقليمي.

www.strategy-watch.com